دراسة كتاب التِّبيان لعبد الله بن بلكين الزيري – آخر أمراء غرناطة في عصر دويلات الطوائف

A study of the Book of "alttibyan" for Abd Allah ben Belkin Al-Ziri - the last princes of Granada during the reign of the sectarian states

خالد حموم [1]

[1] كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة محمَّد لمين دباغين سطيف 2 (الجزائر)

khaled_dz2011@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2020/06/02 تاريخ القبول:2021/01/17 تاريخ النشر: مارس/2021

الملخص

ترك لنا الأمير عبد الله بن بلكين الزيري آخر أمراء غرناطة في عهد دويلات الطَّوائف في الأندلس كنزًا نفيسًا وهو كتاب "مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة (469هـ/483هـ)" المسمَّاة بكتاب "التِّبيان"، الذي خصَّصه للحديث عن إمارة غرناطة منذ نشأتها إلى غاية سقوطها في أيدي المرابطين، ويحوي كذلك معلومات قيِّمة عن باقي دويلات الطَّوائف، فهو معاصر للأحداث التي كتبت عن فترة حكم أمراء الطَّوائف وأولية المرابطين في الأندلس.

وأحاول من خلال هذا البحث دراسة محتوى الكتاب بشكل دقيق، وإظهار مدى أهميته، وكذلك نقده لأبين للقارئ ما وقع فيه صاحبه من أخطاء مثل كثرة الإطناب والاعتداد بالنفس وغيرهما.

الكلمات المفتاحية: عبد الله بن بلكين – غرناطة – دويلات الطوائف – المرابطين.

Abstract:

Prince Abd Allah ben Belkin Al-Ziri, the last princes of Granada during the reign of the sectarian states in Andalusia left us a precious treasure, which is the book "Memoirs of Prince Abd Allah the Last King of Bani Ziri in Granada (469 AH/483 AH)" called the book "alttibyan" (it means clarification), which he dedicated to talking about the kingdom of Granada from its inception until its fall into the hands of the Almoravids, and also contains valuable information From the rest of the sectarian states, it is contemporary with the events written about the period of the rulers of the sectarian states and the primacy of the Almoravids in Andalusia.

Through this research, I try to study the content of the book accurately, and show its importance, as well as its criticism to show the reader the mistakes made by its owner, like redundancy, boasting and others.

المؤلف المرسل: خالد حموم، الإيميل :khaled_dz2011@yahoo.fr

Keywords: Abd Allah ben Belkin - Granada - the sectarian states - Almoravids.

مقدمة

يعتبر كتاب مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة (469هـ/483هـ) المسمَّاة بكتاب "التِّبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة" المصدر الأوَّل والرئيسي للتأريخ لفترة أمراء الطَّوائف وأولية المرابطين في الأندلس، كيف لا وقد عايش عبد الله بن بلكين الأحداث التي وقعت في الأندلس في تلك الفترة مثل سقوط طليطلة سنة 478هـ/1085م، ومعركة الزَّلاقة سنة 479هـ/1086م، وقد نقل من كتابه هذا أغلب المؤرخين الذين أتوا بعده.

وأحاول من خلال هذا البحث معالجة الإشكالية التالية: فيما تكمن أهمية هذا كتاب التِّبيان ؟ وقد طرحت من أجل الإجابة على هذه الإشكالية العديد من التَّساؤلات: متى تمَّ تأليف الكتاب ؟ وما هو الهدف من تأليفه ؟ ما هي أبرز المواضيع التي تطرق إليها الكتاب ؟ وماذا قدم الكتاب للبحث التَّاريخي ؟

و وظفت في هذا البحث المنهج التحليلي والنقدي، حيث قمت بالتدقيق في الكتاب وحاولت تحليل أفكاره ونقـد ما جاء فيه، وكثَّفت من الاستشـهاد بالنُّصـوص في المتن والهامش إمَّا دعمًا لرأي أو مُساندة لاستنتاج.

وقبل دراسة هذا الكتاب ارتأيت أن أُعرف بشخصية الأمير عبد الله بن بلكين بشكل موجز من خلال كتابه التِّبيان ومن باقي المصادر التَّاريخية، بذكر مولده ونشأته وشيئًا من صفاته، وتوليه حكم مدينة غرناطة.

1- مولده ونشأته وصفاته:

هو عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبُّوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصَّنهاجي[1]، وصنهاجة هي قبيلة بربرية تقع مضاربها في المغرب الأوسط.

ولد سنة 447هـ/1055م[2]، ولا نعلم في أية مدينة بالأندلس ولد، والأرجح أنَّه ولد بمدينة غرناطة[3]، تولى تربيته الوزير سِماجة الصَّنهاجيُّ، وبعض علماء وشيوخ مدينة غرناطة، ونكتشف ذلك من حديث ابن الخطيب عن ما تزخر به مدينة غرناطة من علماء في معرض حديثه عن تولي عبد الله الحكم وهو صغير السن حيث قال "وغرناطة إذ ذاك حافلة بالأعلام، وصدور الإسلام، وحملة السيوف والأقلام"[4].

يختلف المؤرخون في ذكر صفات الأمير عبد الله بن بلكين، فمنهم من أثنى عليه وعدَّد صفات حميدة له، ومنهم من ذكر الكثير من صفاته السيئة، فعلى سبيل المثال يذكر ابن الخطيب في كتابه الإحاطة في أخبار غرناطة صفات حسنة للأمير عبد الله حيث قال "وكان قد حاز حظا وافرًا من البلاغة والمـعرفة، شاعرًا، جيِّد الشـعر، حسن الخـطِّ، كانت بغرناطة رَبْـعَة مُصـحف بخطِّه في نهاية الصّـنعة والإتقان"[5].

وعلى النقيض من ذلك ينقل لنا ابن الخطيب صفات سيئة للأمير عبد الله في كتابه الإحاطة نقلًا عن الأديب المؤرخ ابن الصَّيرفي حيث قال "كان جبانًا، مُغمْد السيف، قلقًا، لا يثبت على الظَّهر، لا أرَبَ

له في النِّساء، هيَّابة، مُفرط الجزع، يخلد إلى الرَّاحات، ويَسْتَوْزِر الأغمار[6]. وأكد ابن الخطيب هذه الصفات أيضًا في كتابه "تاريخ إسبانية الإسلاميَّة أو كتاب أعمال الأعلام" حيث قال "وكان جبانًا، مُغتمِد السيف، متكاسلًا عن الخيل، زاهدًا في النِّساء، موصوفًا بالضعف، لكنَّه يكتب ويشعر ويتحدَّث فيما تتحدَّث فيه الطلبة"[7].

و يعترف ابن بلكين في مذكراته أنَّه كان يتميز بطبع الجزع والخوف، حيث قال "لا سيَّما أنَّ الجزع والسوداءَ متمكِّنة من نفسي، وأجدها في طباعي"[8].

ورغم اعتراف ابن بلكين بنفسه بأنَّه كان جزاعًا، وذِكر ابن الخطيب لبعض صفاته السيئة، إلَّا أنَّني أعتقد أنَّ هذا الوصف فيه مبالغة كبيرة، فلو كانت هذه الصِّفات الدنيئة بالفعل تميز بها الأمير عبد الله لما استمر في حكم مدينة غرناطة لحوالي عشرين عامًا، ولمَّا تمكن من التَّصدي لأطماع أمراء الطَّوائف التَّوسعيَّة على حساب إمارته.

2- توليه الحكم:

عُيِّن الأمير عبد الله عند وفاة أبيه بلكين بن باديس الملقب بسيف الدَّولة في عام 456هـ/1064م كولِّي عهد لجدِّه الأمير باديس بن حبُّوس، ثمَّ تولى الحُكم بغرناطة بعد وفاة جده[9] في شهر شوال سنة 465هـ/1072م[10]، وقيل سنة 469هـ/1076م[11]، ويعتبر الأمير عبد الله الحاكم الثالث والأخير لإمارة غرناطة، والتي أسَّسها ابن عمه زاوي بن زيري مع مطلع القرن الخامس الهجري[12]، ثمَّ آلت إلى حكم جد والده حبُّوس بن ماكسن في حدود سنة 414هـ/1023م[13] بسبب الضعف الشديد الذي آلت إليه الخلافة الأمويَّة في قرطبة والتي سقطت بصفة نهائية سنة 422هـ/1031م[14].

وقد اتفق أشياخ قبيلة صنهاجة، وأهل الحلِّ والعقد في إمارة غرناطة على تقديم الأمير عبد الله بن بلكين لحكم غرناطة، فأخذوا له البيعة على النَّاس، ولقبوه المظفَّر بالله، والنَّاصر لدين الله، وعدلوا إليه على عمِّه والي مدينة جيان، وذلك لما رأوا فيه من سوء سجيَّته وانهماكه واجترائه على سفك الدماء[15].

وكان الأمير عبد الله منذ ولايته الأمر صبيًّا، لم يقارب الحلم، وانفرد بتدبير ملكه الوزير سِمَاجَة الصَّنهاجيُّ[16] مدَّة تسع سنين[17]، وكان سِماجة حازمًا، شديد السطوة، موهوب العقاب، جودًا شجاعًا، فاضلًا، أدار أمور غرناطة باقتدار، ولم يزل يدبر أمر عبد الله إلى أن بلغ، فضاق بسِماجة ذرعًا، وأراد أن يستبد بالأمر[18]، فأمر سِماجة أن يخرج من غرناطة فرحل إلى مدينة المرية بجميع أثاثه وخدمه ودوابه وجميع ثيابه وفرشه، كما خرجت امرأته بحلي كثير من الجوهر[19]، وكان المعتصم صاحب المرية يكرمه غاية الكرم، وأقام عنده إلى آخر عمره[20].

ولم تكن دولة الأمير عبد الله إلَّا سلسلة طويلة من الاضطرابات داخل إمارته، والمشَّادات المسلَّحة مع جيرانه من الأمراء المسلمين.[21]

3- محتوى الكتاب وأهميته:

ترك لنا الأمير المؤرخ والأديب الشاعر عبد الله بن بلكين كتابًا في غاية الأهمية أخرجه لنا العلامة

الأستاذ أ.ليفي بروفنسال[22] بعنوان "مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة (469هـ/483هـ) المسماة بكتاب التِّبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة" ويعرف اختصارًا بكتاب "التِّبيان" وقد ألفه لما كان في المنفى بمدينة أغمات[23]، وقيل في مرَّاكش، ويعد الكتاب وثيقة تاريخية هامَّة، وهو عبارة عن ترجمة شخصية لحياة المؤلف وحوادث عصره، ويتناول مقدم بني زيري إلى الأندلس، وإمارة والد جده حبوس بن ماكسن ثمَّ إمارة جده باديس بن حبوس[24].

وعلى الرغم من الاستطرادات الطويلة التي يحاول فيها المؤلِّف أن يبرِّر موقفه السِّياسي أمام الأخطار التي كانت تهدِّد إمارته[25]، فإنَّ هذا الكنز النَّفيس قدَّم لنا معلومات هامَّة عن إمارة غرناطة منذ نشأتها إلى غاية سقوطها في أيدي المرابطين، ويحوي كذلك معلومات قيِّمة عن باقي دويلات الطَّوائف، فهو معاصر للأحداث كتب عن فترة حكم أمراء الطَّوائف، وقدَّم سردًا مفصلًا لجميع الحوادث التي أدت إلى استيلاء ألفونسو السادس على طليطلة سنة 478هـ/1085م، وفترة تواجد الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين في الأندلس لجهاد النَّصارى، كيف لا وقد شارك صاحب هذا الكتاب كغيره من أمراء الطَّوائف إلى جانب الأمير يوسف في معركة الزَّلاقة سنة 479هـ/1086م، ومعركة حصن لييط سنة 481هـ/1088م، ونقل لنا كل كبيرة وصغيرة عن هاتين المعركتين، كما أفادنا بمعلومات عن الخصومات التي وقعت بين أمراء الطَّوائف، وبين هؤلاء الأمراء والأمير يوسف، وعن كيفية قضاء هذا الأخير على إمارته خلال عبوره الثالث سنة 483هـ/1090م ونفيه إلى المغرب الأقصى، وعن ظروف معيشته هناك، وتناول الكتاب أيضًا كيفية استيلاء المرابطين على باقي دويلات الطَّوائف ابتداءً من سنة 483هـ/1090م.

كما تناول الكتاب أيضًا تأملات أخيرة للمؤلف بعد النفي، وهذه التأملات شملت مختلف العلوم منها الأدبية، الإنسانية، الطبيعية والطبية وغيرها، فقد تحدث المؤلف عن الشعر، واستطرد في الكلام عن طالعه ومصيره، ثمَّ تحدث عن رأيه في التَّنجيم، وبعض الأمور الطبية التي تخص الأغذية والنبيذ، وبعض المسائل في علم الفلك، والعلوم الطبيعية والطبية، ثمَّ أردف الحديث عن بعض الأمور التي تخص الجانب النفسي والاجتماعي فتحدث عن المسرَّة وعن هموم الهوى والشباب، وعن الطموح وزوال خيرات الدنيا، ثمَّ تحدث عن أولاده، ثمَّ وجه خطابًا إلى قرائه الراضين عنه أو الساخطين عليه[26].

وقد أورد الأمير عبد الله أيضًا في آخر الكتاب كلامًا يبين فيه الغرض من تأليف كتابه هذا حيث قال "وإنَّما وضعنا هذا الكتاب لمن أشكل عليه الأمر من أهل الفضل والحقِّ المحبِّين لله فينا، و الوادِّين الخير لنا، ولا يزيد البُغاة إلَّا طغيانًا و تعنيتًا"[27].

وختم الأمير عبد الله بن بلكين الزيري كتابه بكلام يدفع فيه عن نفسه ما عسى أن يأخذ عليه من أخطاء حياته الخاصة[28].

ويعد الكتاب أيضًا وثيقة سوسيولوجية، يساعد بصورة أفضل من كتب التأريخ التي أُلِّفت من بعد، على الحكم على حالة الانحلال الاجتماعي والسِّياسي في الأندلس قبل معركة الزَّلاقة وبعدها، وعلى التقدُّم الذي حقَّقه في ذلك الوقت أنصار استرجاع الأندلس المسلمة إلى النَّصرانيَّة. ومن جهة أخرى إنَّ قص

الحوادث السابقة على حكم الأمير عبد الله نفسه هو أيضًا أمر جديدٌ، وهامٌ جدًا[29].

ولكونه عايش الأحداث فإن أغلب المؤرخين الذين أتُوا بعده، يعتمدون عليه وينقلون منه مثل ابن الخطيب في كتابه أعمال الأعلام، والمؤلف المجهول صاحب الحُلل الموشيَّة وابن الحسن النُّباهي في المرقبة العليا.

وفيما يخص نقد الكتاب فقد لاحظنا بعض الإطناب في مواضع كثيرة، ولكن المؤلِف ابن بلكين برَّر ذلك بقوله "واقتصرنا على الإطناب فيما يَخُصُّنا منها، ممَّا حاولناه أو رأيناه عيانًا" وقال أيضًا "ولأنَّ كتابنا لم يكن مبنيًا إلَّا على وصف مملكتنا خاصة"، أي أنَّ الإطناب ورد في كتابه فقط حينما تكلم على أحوال مملكته غرناطة.

ويعاب على هذه المذكرات عدم ذكر صاحبها للتواريخ إلَّا في مواضع قليلة جدًا، فحتَّى الأحداث التَّاريخية المشهورة لم يذكر ابن بلكين تاريخها، وعلى سبيل المثال لم يذكر تاريخ عبور الأمير يوسف إلى الأندلس الأوَّل والثاني والثالث، ولا تاريخ معركتي الزَّلاقة وحصن لييط، ولم يذكر المؤلف أيضًا تاريخ استسلامه ولا نفيه.

كما يعاب على المؤلف أيضًا استعمال بعض الألفاظ والكلمات باللغة العربية العامية، مثل كلمة برَّاني، الفُوقى وغيرهما، وقد دافع محقِّق الكتاب الأستاذ "أ.ليفي بروفنسال" عنه بقوله أنَّ لغته صحيحة، فقط تأثَّرت إلى حدٍّ ما باللُّغة العاميَّة الأندلسيَّة، وينصح القراء بضرورة الرجوع بصورة خاصَّة إلى "ملحق القواميس العربية" لرينهرت دوزي لفهم هذه الألفاظ التي تبدو خاطئة[30].

كما يلاحظ على المؤلف استعماله الألفاظ غير اللائقة حينما يذكر أعدائه وأعداء المسلمين، ملوك النَّصارى، مثل لفظ الخنزير، لعنه الله وغيرهما، وهذه الكلمات في واقع الأمر لم يختص بها ابن بلكين لوحده بل تقريبًا جل مؤرخي العصر الوسيط استعملوا هذه الألفاظ، وهي تعبر عن الحالة النفسية التي كان يعيشوها المسلمون آنذاك نتيجة الحروب الدائمة بين الطرفين، ولقوة التَّدين وحب الدَّفاع عن الإسلام وأهله. ونشير إلى أنَّ هذه الألفاظ حاليًا غير مقبولة ويتفادى المؤرخون استعمالها مع أعدائهم لأجل التعايش ونبذ الفرقة والتعصب.

كما لاحظنا في الكتاب مدح مؤلفه لنفسه في مواضع عديدة، وذم لها في أحيان قليلة جدًا، ومن صور مدحه على سبيل المثال لا الحصر قوله "ولا أخلدت إلى راحة توجب الغفلة، كالذي صنع من كان قبلنا من الملوك، وتعففنا عن الدماء والأموال والحُرم"[31].

وحاول الأمير عبد الله بن بلكين في مذكراته هذه الدِّفاع عن نفسه، خاصةً فيما يتعلق بتهمة خيانته للمسلمين وتعاونه مع ملك النَّصارى ألفونسو السَّادس، بالقول تارةً أنَّه كان مضطرًا لدفع الضريبة، وتارة أخرى أنَّ الأعمال بالنيَّات، أي أنَّه لم تكن نيته خيانة المسلمين، وقوله أيضًا لأعدائه الذين اتهموه بالخيانة عند الله تجتمع الخصوم.

ما يدعوا للدهشة والاستغراب أنَّ الأمير عبد الله بن بلكين لم يحقد على المرابـــطين وأميرهم يوسف

بن تاشفين رغم أنَّ نهاية دولته كانت على يديهم، حيث لم نلحظ في مذكراته أنَّه ذكرهم بسوء، بل على العكس من ذلك فقد قال عنهم خيرًا، حيث ذكرهم في معرض حديثه في إحدى صفحات كتابه بلفظ أعزَّهم الله.

وتجدر بنا الإشارة في الأخير إلى أنَّ الأستاذ "أ.ليفي بروفنسال" نبه القراء بأنَّه أضاف عناوين لم تكن في النص الأصلي لغرض التفريق بين محتويات الفصول، وأرى أنَّ اجتهاده هذا كان موفقًا إلى حد بعيد، حيث سهَّل على القارئ الوصول إلى المعلومة المراد الحصول عليها بيسر وبسرعة فائقة.

4- دوره السِّياسي من خلال كتابه التِّبيان:

قام الأمير عبد الله بن بلكين بالعديد من الأدوار السِّياسيَّة الهامَّة خلال توليه زمام الحكم في مدينة غرناطة، فقد تمكن من حكم غرناطة والدِّفاع عن حدودها بالتَّصدي للأطماع التَّوسعية لباقي أمراء الطَّوائف، وللنَّصارى الصليبيِّين، وتمكن من تأسيس إمارة لها مكانة هامَّة بين باقي دويلات الطَّوائف[32].

ومن خلال كتابه التِّبيان وبالاستعانة بباقي المصادر التَّاريخية والجغرافية أحاول تتبع الدور السِّياسي الذي قام به حينما تولى حكم غرناطة، واتخذت من مشاركته في معركتي الزَّلاقة وحصن لبيط نموذجًا للحديث عن دوره السِّياسي.

حيث تبين لي من خلال كتابه هذا أنَّه من أهم الأدوار السِّياسيَّة التي قام بها هو مشاركته في معركتي الزَّلاقة وحصن لبيط بجانب الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين وباقي أمراء الطَّوائف ضدَّ النَّصارى الصَّليبيِّين بقيادة ملك قشتالة ألفونسو السَّادس[33].

ففيما يخص معركة الزَّلاقة فقد استجاب الأمير عبد الله بن بلكين منذ البداية رفقة المتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس لطلب المعتمد بن عبَّاد أمير إشبيلية والمتمثل في الاستنجاد بالأمير المرابطي يوسف بن تاشفين لرد عدوان النَّصارى الصَّليبيِّين[34]، وقد شكلوا جميعًا بعثة برئاسة القاضي ابن أدهم وبحضور وزير المعتمد ابن زيدون وقاضي بطليوس ابن مقانا، وقاضي غرناطة ابن القليعي[35] حملت هذه البعثة رسالة مكتوبة من المعتمد بن عبَّاد إلى الأمير يوسف يستنجده فيها ويستدعيه للأندلس ليدفع عنه ألفونسو السَّادس[36].

وافق الأمير يوسف العبور إلى الأندلس تلبيةً لنداء أهله لرد العدوان عليهم، فجاز البحر يوم الخميس منتصف ربيع الأوَّل 479هـ/30 جوان 1086م[37] فاستقر خلال عبوره في الجزيرة الخضراء[38]، ثمَّ اتجه نحو إشبيلية وبقي فيها ثلاثة أيام ينتظر فيها التحاق الجيوش حيث بعث إلى سائر أمراء الأندلس يستنفرهم للجهاد، فكان الأمير عبد الله بن بلكين أوَّل المبادرين لتلبية الدعوة رفقة أخيه تميم صاحب مالقة[39]، ويذكر ابن بلكين ذلك في مذكراته حيث قال "وبادرنا نحن إلى الخروج وسُررنا بذلك، وأعددنا ما استطعنا عليه للجهاد بأموالنا رجالنا، وقدَّمنا الهديَّة إلى أمير المسلمين وأمرنا بضرب الطَّبل وما يُستعدُّ به للفرح، عند مخاطبته لنا بدخول الجزيرة"[40].

وقد خرج الأمير عبد الله بنحو ثلاثمائة فارس، بينما أخوه تميم بنحو مائتي فارس[41] والتقيا بمعسكر

الأمير يوسف في الطريق إلى بطليوس[42]، ويذكر ابن بلكين أنَّ صاحب المرية ابن صمادح أرسل ابنه للأمير يوسف معتذرًا عن عدم مقدرته على المشاركة في هذه المعركة لكبر سنِّه، ولتربص العدوِّ النَّصرانيُّ به[43]، وسارت هذه الجموع مع باقي الجيوش الأندلسيَّة بقيادة أمير المسلمين يوسف نحو بطليوس، ويذكر ابن بلكين أنَّ هذه الجيوش بقيت في بطليوس أيامًا تنتظر قدوم جيش العدو، حيث قال "وتَلَوَّمنا ببطليوس أيَّامًا، حتَّى صحَّ عندنا إقبال ألفونسو السَّادس في حفلة يروم الملاقاة[44].

وفي موضع يعرف بالزَّلاقة بالقرب من بطليوس حدثت معركة حامية الوطيس ضدَّ الجيش النَّصراني بقيادة ملك قشتالة ألفونسو السَّادس يوم الجمعة 12 رجب سنة 479هـ الموافق ل 23 أكتوبر 1086م[45]، وقد أبلى الأمير عبد الله بن بلكين في هذه المعركة رفقة القوَّات الأندلسيَّة بقيادة المعتمد بن عبَّاد البلاء الحسن وأعانوا قائدهم يوسف بن تاشفين على تحقيق انتصار مدوي على النَّصارى الصَّليبيِّين[46].

ووصلت أخبار النَّصر إلى جميع أنحاء العالم الإسلاميّ وأرسل الأمير يوسف كتابًا إلى بلاد العُدوة يبشرهم فيه بانتصار المسلمين على أعدائهم، كما كتب الأمير عبد الله بن بلكين وكل من شاهد الحرب كتبهم إلى الآفاق[47].

وقد شارك الأمير عبد الله بن بلكين أيضًا في معركة حصن لييط بشرق الأندلس، وكانت هذه المعركة كرد فعل من النَّصارى على هزيمتهم في الزَّلاقة، حيث استغل ألفونسو السَّادس عودة يوسف بن تاشفين إلى بلاد المغرب وعودة أمراء الطَّوائف للتنازع فيما بينهم، واستولى على حصن لييط ومنه شن غارات على مدن شرق الأندلس وهددها بالسقوط[48].

فاضطر أهل الأندلس للاستنجاد مرةً أخرى بالأمير يوسف بن تاشفين وأخذت الوفود الشعبية وعلى رأسها الفقهاء تعبر إلى المغرب مستغيثةً به لإنقاذ الأندلس من جديد، فلبى يوسف النداء وقبل العبور مرة أخرى لإنجاد إخوانه المستضعفين، فكان جوازه في شهر ربيع الأوَّل سنة 481هـ/1088م[49]، وحين وصوله بعث بكتبه إلى أمراء الطَّوائف يستنفرهم لجهاد العدوِّ في حصن لييط[50].

وقد لبَّى أمير غرناطة عبد الله بن بلكين كعادته نداء الأمير يوسف ولحق به إلى حصن لِيِّيط للاشتراك في المعركة، ويذكر ابن بلكين ذلك في مذكراته حيث قال "وبادرنا رغبة في الجهاد، ومحبَّةً فيه، وإيثارًا له، وخرجنا إليه، ولقيناه في حيِّزٍ من بلدنا، بما يُطابق مِثله من الهدايا والتُّحف، وأجمعنا على المسير إلى لِيِّيط"[51]، كما لبَّى باقي أمراء الطَّوائف النداء منهم تميم بن بلكين صاحب مالقة، والمعتصم بن صمادح صاحب المريَّة، وابن رشيق صاحب مرسيَّة وأصحاب شقورة، وبسطة وجيَّان، فلم يتخلف غير ابن الأفطس صاحب بطليوس[52].

وقد حاصر المسلمين بقيادة الأمير يوسف بن تاشفين حصن لِيِّيط الذي يضمُّ ثلاثة عشر ألف مقاتلًا نصرانيًا مدة أربعة أشهر حصارًا مطبقًا وشنُّوا عليه الحرب ليلًا ونهارًا[53]، وكان كل أمير يهاجم بدوره ويقاتل حسب مجهوده وما تبلغ استطاعته وحيلته[54]، ولكنهم لم يتمكنوا من فتحه، وعانى خلاله

المسلمون خسائر فادحة اثر انقضاض النَّصارى المحاصَرين عليهم بين آونة وأخرى[55]. ويذكر ابن بلكين في مذكراته أنَّ ابن صمادح أتى بفيل لكي يفتح به الحصن، لكن أصابه من داخل الحصن قبس من نار فأحرقه، فذهبت جهوده أدراج الرياح[56].

والشيء الذي زاد الأمر تعقيدًا هو وقوع الخلاف بين أمراء الطَّوائف[57]، ويُصوِّر لنا عبد الله بن بلكين في مذكراته هذا الوضع المزري حيث قال "وطالت تلك المحلَّة الملعونة، وأبان الطيِّب من الخبيث وكُشفت العورات، فلم يزدد الرؤساء إلَّا توحشًا ولا الرعية إلَّا تسلطًا، ولا الداخلون على مثل هذه النِّصبة إلَّا طمعًا، وحُقَّ لهم مع اختلاف كلمة الرؤساء"[58].

وأعظم هذه الخصومات بين أمراء الطَّوائف التي بين المعتمد بن عبَّاد وابن رشيق[59]، وكذلك بين ابن عبَّاد وابن صمادح اللَّذين كان يكيد كلٌ منهما بأخيه لدى أمير المسلمين[60]، كما كان الأمير عبد الله صاحب غرناطة وأخيه تميم صاحب مالقة يشكوا كلٌ منهما الآخر للأمير يوسف، وكان أمير مالقة تميم أكثر شكاية على أخيه عبد الله، ومن بين شكاويه قوله "إنَّ أحوالي قد ضاقت بتعدِّي أخي على بلادي وميراث جدِّي" فقال له الأمير يوسف "هل لقيت أخاك في هذا المعنى، وترامیت عليه قبل مخاطبتك لي" ؟ فلما قال له "لا" ردَّ عليه "ما ينبغي لنا ذلك إلَّا برضاه"[61]. ولما رأى الأمير يوسف كثرة شكايته أرسل للأمير عبد الله رسالةً يطمئنه فيها عن عدم قبول شكوته وممَّا جاء فيها "لا يربك شكوى أخيك فإنَّ السلطان لا يسعه أن يقول له: اسكت عن طلبك، ولا يعطيه عليك يدًا، غير أنَّنا نلوي القصة مرحلة بعد مرحلة، حتَّى يقع الانفصال"[62].

وساهمت هذه الخصومات في اختلال أمر المعسكر الإسلاميّ، كما لحق به الضَّيق والغلاء لطول مدَّة الحصار[63]، فآثر الأمير يوسف الانسحاب وعدم الاشتباك مع القشتاليِّين في معركة غير مجدية[64].

وقدم ألفونسو إلى الحصن فأنجد من بقي منه من النَّصارى، وقرَّر إخلاءه وتقويض أسواره وأبراجه، وعاد أدراجه إلى طليطلة[65]، فاسترجع المسلمين الحصن بعد أن تركه النَّصارى أطلالاً[66].

انبثقت عن معركة حصن لييط نتيجة مهمة هي إدراك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين باستحالة توحيد أمراء الطَّوائف الغارقين في نزاعاتهم اللَّامتناهيَّة، فبقي عليه ألَّا يعتمد على هؤلاء الأمراء في مواجهة العدوِّ بل عليه أن يعتمد على نفسه إذا أراد مواصلة جهاد النَّصارى في بلاد الأندلس، ولن يتحقق له ذلك إلَّا بعد القضاء على نفوذ وسلطة هؤلاء الأمراء.

5- عزله ونفيه من خلال كتابه التِّبيان:

لمَّا أدرك الأمير يوسف أنَّ أمراء الطَّوائف غير مخلصين في جهادهم، قرَّر العبور إلى الأندلس للمرة الثالثة سنة 483هـ/1090م لأجل خلع هؤلاء الأمراء، ولإنقاذ الأندلس من خطر النَّصارى[67]، وقد تشجع الأمير يوسف بصدور فتاوى من فقهاء الأندلس والمغرب والمشرق تحثه على مشروعية خلع أمراء الطَّوائف والتَّخلي عن نصرتهم بعد أن ثبتت خيانتهم للعيان، وتحضه على العدل والتَّمسك بالخير[68]، ومن بين الـــفُقهاء الذين أفتوا بشرعية القضـــاء على أمراء الطَّوائف كلٌ من أبو بكر الطُّرطوشـــي[69] وأبو حامد

الغزالي هذا الأخير قيل عنه أنَّه أثنى على الأمـير يوسف ثناءً كبيرًا، ووجَّه له رسـالة تُفتيه بشرعية خلعه لأمراء الطَّوائف وتحثه على الجهاد في سبيل الله ونشر العدل والإحسان إلى الرعية[70].

وهناك عوامل أخرى شجعت أيضًا الأمير يوسف على خلع أمراء الأندلس منها استمرار الخلاف والشِّقاق بين هؤلاء الأمراء بعد معركتي الزَّلاقة وحصن لييط، الأمر الذي صرفهم عن مواجهة النَّصارى المتربصين بهم، وكذلك كثرة شكاوى الرعية من الضرائب الكبيرة التي كانت تفرض عليهم من قبل أمرائهم، فتمسكوا بالأمير يوسف بن تاشفين ودعوهُ لكي يخلِّصهم من جورهم[71]، بالإضافة إلى قيام أمراء الطوائف بقطع الإمدادات على القوَّات المرابطيَّة المتواجدة في الأندلس، وتعاون بعضهم مع ملك قشتالة ألفونسو السَّادس بتقديمهم له الهدايا والأموال لكي يكون نصيرهم ضدَّ التدخل المرابطيّ في بلادهم، ومن بين الأُمراء الذين رضخوا لتهديداته وأمدوه بالهدايا والأموال الأمير عبد الله بن بلكين صاحب غرناطة الذي أقرَّ بذلك في مُذكراته حيث قال "فاجتمع رأينا على إرضائه باليسير، مع مُعاقدته ألَّا يقرب لنا بلدًا"[72]، وكذلك حسام الدَّولة يحي بن رزين صاحب شنتمريَّة، الذي أهداه تحفًا وحُليًا يعجز عنها الوصف، فكافأه عليها ألفونسو بقردٍ شماتةً فيه، وكان من ضعف عقله أنَّه يفخر بذلك القرد على أقرانه أمراء الطَّوائف[73].

وقد استغل ملك قشتالة ألفونسو السَّادس هذه الأوضاع السِّياسيَّة المتأزمة في الأندلس فاستأنف على إثر ذلك غاراته على أراضي المسلمين رغم تحالف بعض أمراء الطوائف معه، فراح يهاجمهم منفردين، وأرسل قائده البرهانس إلى الأمير عبد الله بن بلكين صاحب غرناطة يهدِّد ويتوعد ويطالبه بالضَّريبة المتأخرة[74]، كما عاثت قوَّاته في أراضي المعتمد بن عبَّاد وراحت تهدِّد إشبيليَّة[75].

كان الأمير يوسف بن تاشفين خلال عبوره الثَّالث لبلاد الأندلس يدرك تمام الإدراك أنَّه يجب عليه خوض معركتين عنيفتين، الأولى ضدَّ أمراء الطَّوائف الذين ثبتت خيانتهم للمسلمين، والثَّانية ضدَّ القوَّات النَّصرانيَّة[76] لأجل القضاء على سطوتها وزحفها المتواصل على بلاد المسلمين في الأندلس ولعزلها عن الصَّراع الذي سوف يخوضه ضدَّ أمراء الطَّوائف المتهالكين.

ولهذا لم يبدأ الأمير المرابطيّ يوسف بن تاشفين بالإطباق فور عبوره للأندلس على أمراء الطَّوائف خشية أن يتعرَّض لهجوم نصرانيٍّ من الخلف، فبادر باجتياح طليطلة ومحاصرتها ولكنه لم يتمكن من فتحها لحصانتها الفائقة، فترك الحصار وارتدَّ الأمير يوسف بقوَّاته إلى الجنوب، كل ذلك ولم يتقدَّم أحد من أمراء الأندلس لمساعدته ضدَّ عدوهم اللَّدود ألفونسو السَّادس[77]، بل راحوا يُراقبون تحرُّكاته عن كثب، جزعين أشدَّ الجزع على سلامتهم[78].

وتوجه الأمير يوسف مباشرةً إلى فحص غرناطة التي يحكمها عبد الله بن بلكين، وكان هذا الأمير قد فاق غيره من أمراء الأندلس في الخيانة والتآمر والاتصال بالعدوِّ، وقد وردت أنباء خيانته إلى الأمير يوسف عن طريق المعتد بن عبَّاد، وبعض الفقهاء وبعض مواليه، ولاسيما مؤمل مولى جده باديس الذي اتَّهمه بعقد معاهدات سرِّية مع ألفونسو السَّادس[79]، وقد ذكرنا سابقًا أنَّ الأمير عبد الله بن بلكين اعترف بذلك في مذكراته، ولكنَّه يذكر بأنَّها لم تكن سوى التزام منه بدفع الضَّريبة لملك قشتالة ألفونسو السَّادس،

وكان قد تعهَّد له هذا الأخير بأن لا يعترض له بلدًا، ولا يغدر به، وأنَّه كان في حالة ضرورة لا سبيل إلى سواها، ولم يكن يسعى للاستعانة به لقتال الأمير يوسف. وساق ابن بلكين في مذكراته كلام آخر يثبت صدق نواياه حيث قال "ولو أنِّي أريد ذلك، والإنحياش للنَّصارى، كالذي قيل، لم يصل المرابطون إلى سبتة إلَّا ومدينة غرناطة مملوءة منهم وكنت أستطيع على ذلك، وكانت لي في المدَّة برهة وفسحة طويلة، إلَّا أنَّ الأعمال بالنيَّات"[80].

قبل وصول الأمير يوسف إلى غرناطة وهو في قرطبة أرسل إلى ابن بلكين كتابًا يقول فيه "أقبل إلينا ولا تتأخَّر ساعة واحدة"، فاضطرب الأمير عبد الله من الأمر، واعتذر إليه بتوجيه رسل اعتقلهم يوسف وكبَّلهم بالحديد، وقال لهم "والله إني غزوته كما نغزو ألفونسو، والذي يقدر عليه فليصنع"؛ وأرسل إلى الكُّور والحصون كتبًا يدعوهم لعدم المقاومة[81]، ويذكر ابن الكردبوس أنَّه لمَّا وصلت كُتب الأمير يوسف إلى الحصون والمعاقل أطاعه أهلها وسُرَّ القوم بذلك، وقد مالت نفوسهم إليه، لما رأوا عنده من العدل والشَّهامة والإنصاف[82].

وعندما وصل أمير المسلمين إلى غرناطة تحصَّن منه صاحبها عبد الله بن بلكين وأغلق الأبواب في وجهه، وكان قد عمد إلى تشيِّيد الحصون وبناء الأسوار، وملأ بيوت السِّلاح، وجَدَّ في ضرب السِّهام استعدادًا لحصار طويل الأجل[83]، وبالفعل حاصره يوسف مُدَّة شهرين[84]، وقام عسكره بحراسة حصون غرناطة الخارجيَّة حتَّى لا يصله المدد من النَّصارى[85].

ولمَّا طال الحصار أرسل ابن بلكين إلى أمير المسلمين أموالًا وأعلمه أنَّه غير مخالف له وأنَّه تحت طاعته، فأرسل الأمير يوسف الفقيه ابن سعدون يقول له "لا طاعة ولا صلح إلَّا بالخروج إليه، وأنَّه بأمان في النَّفس والأهل دون المال"، كما عرض عليه أن يختار بلدًا آخر غير بلده غرناطة ليلتقيا معًا للنظر في الأمر[86].

وكانت الأحوال قد ساءت كثيرًا في المدينة المحصورة وأدرك ابن بلكين أنَّه لا سبيل للمقاومة ففتح أبواب غرناطة أمام الجيش المرابطي مستسلمًا للأمير يوسف[87] في شهر رجب سنة 483هـ/1090م[88]، ويذكر ابن بلكين في مذكراته كيفية استسلامه وخروجه لملاقاة يوسف وطلب الأمان حيث قال "فخرجنا إلى الرَّجل، كأنَّما نُساق إلى الموت، لا ندري ما نلقى، إلَّا كالخاطر بنفسه، متوكِّلين على القدر، ولمَّا لقيناه، سُرَّ بذلك، وأقسم لنا على الأمان في أنفسنا وأهلنا، ولنا منه المُراعاة والكرامة ما بقي"[89].

وحفظ يوسف عهده لابن بلكين فلم يتعرض له ولأهله بأي سوء ثمَّ أرسله إلى الجزيرة الخضراء ومنها إلى سبتة فمِكناسة ثمَّ أغمات[90]، ومنها إلى مرَّاكش[91] التي استقرَّ بها حتَّى تُوفِّي، وكان سنه يوم خلعه خمس وثلاثون سنة وسبعة أشهر، وقد عاش في مرَّاكش في أمان ورفاه، ورزق الولد عاش له ابنان وبنت، فلمَّا توفي ترك لهم مالًا جمًا[92]. وللأسف الشديد لا نعلم تاريخ وفاته بالتَّحديد، فقد بحثت في العديد من المصادر والمراجع ولم أوفق لإيجاده.

بعد أن فرغ الأمير يوسف من ضمِّ غرناطة إلى دولته، وجَّه جيشه نحو مالقة وفيها تميم بن بلكين بن باديس شقيق الأمير عبد الله فقبض عليه غدرًا وحيلةً وحُمل مكبلًا إلى العُدوة ثمَّ أرسله إلى السُّوس ومنها إلى مِكناسة التي التقى فيها بأخيه عبد الله، وقد وجده هذا الأخير في حالة مزرية، وأخبره تميم بهَوْلِ ما قاس من عذاب في أيام سجنه الأولى بالأندلس[93].

ومن مدينة مِكناسة نُقِل الأمير تميم إلى مرَّاكش[94] وقيل إلى أغمات[95]، ويذكر الأمير عبد الله في مذاكراته أنَّ الأمير يوسف في آخر المطاف عفا عن أخيه تميم وبالغ في إكرامه وكان معه في عافية ورغد من العيش[96]، وقد توفي بمرَّاكش سنة 488هـ/1095م[97].

وهكذا سقطت إمارة غرناطة في أيدي المرابطين، وتبعتها إمارة مالقة، ثمَّ توال سقوط جميع دويلات الطَّوائف في أيدي المرابطين تباعًا، ما عدا إمارة سرقسطة التي تأخر استيلاءهم عليها إلى سنة 503هـ/1110م في عهد الأمير علي بن يوسف[98].

وقد حذَّر الأمير عبد الله بن بلكين أمراء الطَّوائف لمَّا رفضوا نجدته ومساعدته لمقاومة أمير المرابطين يوسف بن تاشفين بأنَّ مصيرهم سوف يكون مثل مصيره، وخاطبهم قائلًا "هذا الأمر مُنجرٌّ إليكم، اليوم بي وغدًا بكم". وقد أدرك المعتمد بن عبَّاد هذا الأمر لمَّا قضى الأمير يوسف على الأمير عبد الله وقال لحليفه المتوكِّل بن الأفطس "والله لابد له أن يسقينا من الكأس التي سقى بها عبد الله بن بلكين"[99].

الخاتمة

في ختام بحثي هذا توصلت للعديد من النتائج وهي:

– اختلف المؤرخون في تقيِّيم شخصية الأمير عبد الله بن بلكين فمنهم من وصفه بأقبح الصِفات كالجبن وغيرها، ومنهم من اعتبره أديبًا وشاعرًا فحلًا. ويبدوا أنَّ هناك تحامل عليه لأنَّه لو كان جبانًا لما تمكن من الدِّفاع عن إمارته ضدَّ تحرشات النَّصارى الصَّليبيِّن من جهة، وضدَّ أطماع خصومه التَّوسعية أمراء الطَّوائف من جهة أخرى، ولما شارك في معركتي الزَّلاقة وحصن لييط بجانب الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين ضدَّ النَّصارى الصَّليبيِّين.

– لم يكن الأمير عبد الله بن بلكين رجلًا سياسيًّا فحسب، بل كان أيضًا مؤرخًا وأديبًا وشاعرًا، فهو الوحيد من بين أمراء الطَّوائف الذي ترك لنا مصدرًا تاريخيًا هامًا وهو عبارة عن مذكرات عُرفت باسم كتاب "التِّبيان" وقد ألَّفه لما كان في المنفى في بلاد المغرب، ويحوي هذا المؤلَّف معلومات مفصلة جدًا عن إمارة غرناطة منذ نشأتها وإلى غاية سقوطها، و به معلومات كثيرة عن شخصية الأمير عبد الله والأمراء الذين سبقوه، وهو مصدر لا غنى عنه لمعرفة تاريخ الأندلس في عصر دويلات الطَّوائف وأولية المرابطين.

– حاول صاحب غرناطة الأمير عبد الله في كتابه التِّبيان الدِّفاع عن مواقفه السِّياسيَّة، وتبرير خيانته والمتمثلة في التَّعاون مع عدوِّ المسلمين ألفونسو السَّادس، والرضوخ لتهديداته بإعطائه الهدايا والأموال، بالقول أنَّه كان مضطرًا لذلك لكي يأمن شره، ولا يهدِّد دولته بالسقوط، ولكن المسلمين آنذاك في الأندلس وباقي أرجاء العالم الإسلامي رعيةً وفقهاءً وحاكمين ومحكومين اعتبروا هذا الفعل خيانة لا تغتفر في حق المسلمين، وقد أفتى فقهاء الأندلس والعالم الإسلامي للأمير المرابطي يوسف بن تاشفين بجواز وشرعية خلع الأمير عبد الله وباقي أمراء الطَّوائف المتخاذلين لأجل توحيد الأندلس ورد عدوان النَّصارى الصَّليبيِّين.

– لم يقتصر كتاب التِّبيان على الجانب التَّاريخي بل ضمَّ في طياته مختلف العلوم منها الأدبية، الإنسانية، الطبيعية، الطبية، والفلكية وغيرها.

– معلوم بالضرورة أنَّ الكمال لله وحده، وعمل البشر كلما كَمُلَ نَقص، ولأجل ذلك وجدنا بعض النقائص والأخطاء في كتاب التِّبيان وقد سبق الإشارة إليها في طيات البحث.

الهوامش

1- ابن بلكين: **مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة (469هـ/483هـ)**" **المسمَّاة بكتاب "التِّبيان"**، نشر وتحقيق إ. ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، 1955م، ص7 ؛ ابن الخطيب: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، حقَّق نصه ووضع مقدمته وحواشيه محمَّد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1975م، ط2، مج3، ص379.

2- ابن بلكين، **التِّبيان**، ص7.

3- لمعرفة حدود إمارة غرناطة. (انظر: **الملحق رقم 2**).

4- **تاريخ إسبانية الإسلاميَّة، أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق وتعليق إ.ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، 1956م، ط2، ص234.

5- **الإحاطة**، مج3، ص379-380.

6- **الإحاطة**، ج3، ص380.

7- **تاريخ إسبانية الإسلاميَّة**، ص235.

8- **التِّبيان**، ص114.

9- ابن بلكين، **التِّبيان**، ص7. (نشير إلى أنَّ الأمير باديس بن حبُّوس قبل وفاته عيَّن حفيده أخ الأمير عبد الله، تميم بن بلكين واليًا على مدينة مالقة، فاستمر في حكمها بعد وفاة جده). (انظر: ابن الخطيب، **تاريخ إسبانية الإسلاميَّة**، ص234).

10- ابن الخطيب، **الإحاطة**، مج3، ص379.

11- ابن بلكين، **التِّبيان**، ص7 ؛ ابن الخطيب، **تاريخ إسبانية الإسلاميَّة**، ص233.

12- ابن بلكين، **التِّبيان**، ص20 وما بعدها.

13- ابن الخطيب، **تاريخ إسبانية الإسلاميَّة**، ص229.

14- ابن الوردي: **تاريخ ابن الوردي** – أو- **تتمة المختصر في أخبار البشر**، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1996م، ط1، ج1، ص319 ؛ علي حبيبة: **مع المسلمين في الأندلس**، مكتبة الشباب، مطابع سجل العرب، مصر، 1972م، ص229.

15- ابن الخطيب، **تاريخ إسبانية الإسلاميَّة**، ص233-234.

16- ابن الخطيب، **تاريخ إسبانية الإسلاميَّة**، ص234.

17- ابن الخطيب، **الإحاطة**، مج3، ص379.

18- ابن الخطيب، **تاريخ إسبانية الإسلاميَّة**، ص234-235.

19- عن الخلاف الذي وقع بين عبد الله ووزيره سِماجة. (انظر: ابن بلكين، **التِّبيان**، ص84 وما بعدها).

20- ابن الخطيب، **تاريخ إسبانية الإسلاميَّة**، ص235.

21- ابن بلكين، **التِّبيان**، ص8.

22- الأستاذ أ.ليفي بروفنسال هو أوَّل من حقَّق وأخرج لنا كتاب الأمير عبد الله بن بلكين عن النسخة الوحيدة المحفوظة بجامع القُرويِّين بفاس، والذي نشرته دار المعارف بالقاهرة، سنة 1955م، بعنوان "مذكرات الأمير عبد

الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة (469هـ/483هـ) المسماة بكتاب "التِّبيان". (انظر: ابن بلكين، **التِّبيان**، ص5 وما بعدها؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، مج3، ص381، هامش 2).

23- ابن بلكين، **التِّبيان**، ص8 .

24- ابن الخطيب، **الإحاطة**، مج3، ص381، هامش 2.

25- ابن بلكين، **التِّبيان**، ص8.

26- عن نص الخطاب الذي وجهه الأمير عبد الله لقراء مذكراته الراضين عنه والساخطين عليه. (انظر: **الملحق رقم1**).

27- ابن بلكين، **التِّبيان**، ص200.

28- ابن بلكين، **التِّبيان**، ص201 وما بعدها.

29- ابن بلكين، **التِّبيان**، ص8-9.

30- ابن بلكين، **التِّبيان**، ص9-10 .

31- ابن بلكين، **التِّبيان**، ص202 .

32- عن حدود إمارة غرناطة الزيرية وباقي دويلات الطوائف في الأندلس. (انظر: **الملحق رقم 2**).

33- ابن بلكين، **التِّبيان**، ص104 وما بعدها.

34- يقول ابن بلكين في مذكراته أنَّ المعتمد راسل ابن تاشفين لوحده، ولكنه يناقض هذا الكلام فيما بعد حيث قال "وقد كان رُسلنا مضوا مع رُسل المعتمد إلى أمير المسلمين يوسف" ويبدوا أنَّ المعتمد راسل ابن تاشفين في البداية لوحده، ثمَّ راسله مع ابن بلكين وابن الأفطس صاحب بطليوس). (انظر: **التِّبيان**، ص102 وما بعدها).

35- ابن الأبَّار: **الحُلَّة السِّيراء**، حقَّقه وعلَّق حواشيه حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ط2، ج2، ص98-99 ؛ الحِميري: **الرَّوضُ المعطار في خبر الأقطار**، حقَّقه إحسان عبَّاس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م، ص288.

36- عن نص الرِّسالة التي بعثها المعتمد بن عبَّاد إلى الأمير يوسف بن تاشفين. (انظر: مجهول: **الحُلل الموشيَّة في ذكر الأخبار المُرَّاكشيَّة**، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرَّشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1979م، ص45-46).

37- ابن أبي زرع: **الأنيس المُطرِب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصورة للطِّباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص145 ؛ ابن الخطيب: **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثَّالث من كتاب أعمال الأعلام**، تحقيق وتعليق أحمد مختار العبَّادي ومحمَّد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1964م، ص24. (بينما يرى المُرَّاكشي أنَّ عبور يوسف إلى الأندلس كان في شهر جُمادى الأوَّل). (انظر: **المُعجب في تلخيص أخبار المغرب**، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، منشورات محمَّد علي بيضون، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1998م، ط1، ص93).

38- ابن بلكين، **التِّبيان**، ص 102-103 ؛ **الحُلل الموشيَّة**، ص51.

39- ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص240-241 ؛ **الحُلل الموشيَّة**، ص52.

40- **التِّبيان**، ص104.

41- ابن الأبّار، **الحُلّة السّيَرَاء**، ج2، ص100 ؛ دوزي رينهرت: **ملوك الطوائف**، ترجمة كامل كيلاني، مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1933م، ط1، ص294.

42- يذكر ابن بلكين في مذكراته أنَّه التقى بجيش الأمير يوسف في الطريق إلى بطليوس في موضع يدعى جَرِيشَة. (**التّبيان**، ص104).

43- **التّبيان**، ص104. (غير ابن الأبّار يقول أنَّ صاحب المرية ابن صمادح أرسل فرقة من الفرسان مع ولده لتشارك في المعركة). (انظر: **الحُلّة السّيَرَاء**، ج2، ص100).

44- **التّبيان**، ص104.

45- ابن الأبّار: **التّكملة لكتاب الصّلة**، تحقيق الفريد بل، وابن أبي شنب، المطبعة الشرقيَّة، الجزائر، 1919م، ص29 ؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، مج4 ، ص351.

Philippe Conrad : **Histoire de la Reconquista**, isbn, 2em édition, 1999, p58.

46 – ابن بلكين، **التّبيان**، ص104 وما بعدها.

47- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص150 وما بعدها ؛ **الحُلل الموشيَّة**، ص63.

48- ابن بلكين، **التّبيان**، ص107 وما بعدها.

49- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص152 ؛ السَّلاويَّ: **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدَّولتان المرابطيَّة والموحّديَّة**، تحقيق جعفر النَّاصري ومحمَّد النَّاصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1954م، ج2، ص47 ؛ يوسف أشباخ: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحّدين**، ترجمة وتعليق محمَّد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1996م، ط2، ج1، ص95.

50- ابن بلكين، **التّبيان**، ص108 .

51- **التّبيان**، ص108 .

52- **الحُلل الموشيَّة**، ص68-69 ؛ حسن أحمد محمود: **قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى**، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص293.

53- **الحُلل الموشيَّة**، ص69.

54- ابن بلكين، **التّبيان**، ص108 .

55- أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحّدين**، ص96.

56- **التّبيان**، ص109 .

57- ابن بلكين، **التّبيان**، ص109 وما بعدها ؛ دوزي رينهرت: **المسلمون في الأندلس**، ترجمة وتعليق وتقديم حسن حبشي، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، مصر، 1995م، ج3، ص139.

58- **التّبيان**، ص110.

59- عن النزاع الذي وقع بين ابن عبَّاد وابن رشيق. (انظر: ابن بلكين: **التّبيان**، ص110 وما بعدها).

60- ابن بلكين، **التّبيان**، ص113 ؛ محمَّد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس- العصر الثَّاني- دول الطَّوائف منذ قيامها حتَّى الفتح المرابطي**، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م، ط4، ص336.

61- ابن بلكين، **التِّبيان**، ص106.

62- ابن بلكين، **التِّبيان**، ص113.

63- ابن بلكين، **التِّبيان**، ص110 وما بعدها ؛ **الحُلل الموشيَّة**، ص70 ؛ أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، ج1، ص96.

64- ابن بلكين، **التِّبيان**، ص112 ؛ عنان، **دول الطَّوائف**، ص336.

65- Don Rafael Altamira Y Crevea : **Histoire D'Espagne**, libraire Armand, Saint -Michel, Paris, 1931, p66.

66- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص153 ؛ السَّلاويّ، **الإستقصا**، ص48.

67- ابن بلكين، **التِّبيان**، ص145 وما بعدها ؛ عنان، **دول الطَّوائف**، ص337.

68- ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص250 ؛ محمَّد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس- العصر الثَّالث- عصر المرابطين والموحِّدين في المغرب – القسم الأوَّل عصر المرابطين وبداية الدَّولة الموحِّدِّية**، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990م، ط2، ص41 وما بعدها.

69- أرسل أبو بكر الطُّرطوشي رسالة إلى الأمير يوسف بن تاشفين ينصحه فيها بتقوى الله وإقامة العدل، ويُبيِّن له عِظم المسؤولية الملقاة على عاتقه، والمتمثلة في رعاية شؤون رعيته والإحسان إليهم. (انظر: بدري إبراهيم: **نصيحة الطُّرطوشي إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين**، مقال منشور بمجلة الإصلاح، دار الفضيلة للنَّشر والتَّوزيع، الجزائر، العدد الخامس عشر، السنة الثالثة، أوت 2009م، ص66 وما بعدها).

70- عن نص رسالة الإمام أبو حامد الغزالي إلى يوسف بن تاشفين. (انظر: عنان، **عصر المرابطين والموحِّدين– القسم الأوَّل عصر المرابطين وبداية الدَّولة الموحِّدِّية**، ص530 وما بعدها).

71- يذكر ابن بلكين في مذكراته أنَّ الرعيَّة في غرناطة كانت ترجوا من الأمير يوسف أن يعيد لها حريتها، وأن لا يلزمها بدفع الضرائب، فقط تكتفي بدفع الزكاة والعشر. (انظر: **التِّبيان**، ص150).

72- **التِّبيان**، ص123.

73- شكيب أرسلان: **الحُلل السُّندسيَّة في الأخبار والآثار الأندلسيَّة**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ج2، ص103.

74- طالب رسول ألفونسو السَّادس ضريبة ثلاثة أعوام قدرها ثلاثون ألفًا لا ينقص منها شيئًا. (انظر: ابن بلكين، **التِّبيان**، ص125).

75- ابن بلكين، **التِّبيان**، ص128 ؛ حسن أحمد محمود، **قيام دولة المرابطين**، ص298.

76- محمَّد سهيل طقوش، **تاريخ المسلمين في الأندلس 91- 898هـ/710- 1492م**، دار النفائس، بيروت، 2008م، ص499.

77- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص153 ؛ السَّلاويّ، **الاستقصا**، ج2، ص48.

78- أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، ج1، ص97.

79- ابن بلكين، **التِّبيان**، ص116 وما بعدها ؛ **الحُلل الموشيَّة**، ص71 ؛ عنان، **دول الطَّوائف**، ص314.

80- **التِّبيان**، ص128-129 .

81- ابن بلكين، **التِّبيان**، ص147-148.

82- **تاريخ الأندلس وهو قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء**، تحقيق أحمد مختار العبَّادي، مطبعة معهد الدِّراسات الإسلاميَّة، مدريد، 1971م، ص96.

83- **الحُلل الموشيَّة**، ص71.

84- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص154 ؛ السَّلاويّ، **الإستقصا**، ج2، ص48.

85- ابن بلكين، **التِّبيان**، ص149 ؛ عنان، **دول الطَّوائف**، ص341.

86- ابن بلكين، **التِّبيان**، ص149.

87- ابن بلكين، **التِّبيان**، ص151 وما بعدها ؛ ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص154 ؛ **الحُلل الموشيَّة**، ص71. (يقول ابن الأثير وابن خلكان بأنَّ الأمير يوسف استولى على غرناطة بطريق الغدر والحيلة، وليس باستسلام صاحبها، بينما يرى ابن خلدون أنَّ استيلائه عليها كان عُنوةً. والأرجح ما أثبتناه في المتن). (انظر: **الكامل في التَّاريخ**، دار صادر للطِّباعة والنَّشر، بيروت، 1966م، مج10، ص155 ؛ **وَفياتُ الأعيانِ وأنباءُ أبناءِ الزمانِ**، تحقيق إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت، 1994م، مج7، ص29-30).

88- الضَّبي: **بُغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م، ط1، ج1، ص64 ؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، مج3، ص.380

89- **التِّبيان**، ص154 .

90- ابن بلكين، **التِّبيان**، ص160 وما بعدها ؛ ابن الخطيب، **تاريخ إسبانية الإسلاميَّة**، ص236 ؛ **الحُلل الموشيَّة**، ص71.

91- ابن الأثير،**الكامل في التَّاريخ**، مج10، ص155 ؛ ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص154 ؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، مج3، ص381.

92- ابن الخطيب، **الإحاطة**، مج3، ص381.

93- ابن بلكين،**التِّبيان**، ص162-163.

94- ابن الأثير، **الكامل في التَّاريخ**، مج10، ص155 ؛ ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص154.

95- **الحُلل الموشيَّة**، ص71.

96- **التِّبيان**، ص163.

97- ابن الخطيب، **تاريخ إسبانية الإسلاميَّة**، ص236.

98- ابن الأبَّار، **الحُلَّة السِّيَرَاء**، ج2، ص248 ؛ ابن عذارى: **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق إحسان عبَّاس، دار الثقافة، بيروت، 1998م، ط5، ج4، ص53-54.

99- **التِّبيان**، ص 166.

الملاحق:

الملحق رقم 1: خطاب الأمير عبد الله بن بلكين لقراء مذكراته الراضين عنه والساخطين عليه

نردُّ على أهل الإنصاف وذوي الألباب:

"إنَّكم أنتم المخاطبون من الله ورسوله ! فعليكم اعتمادنا، وإياكم خاطبنا، ولكم ما تكلفنا ! فلا عمي بكم عن المعرفة تحيدكم عن المنهاج، ولا شنآن لِتَرَةٍ سلفت تُحرِّفكم إلى نفثات الحاقدين ! والله يجعلنا في الجنة إخوانًا، كما جعلنا على الخير أعونًا !"

ونردُّ على ما اعترض جهلًا أو حقدًا:

"إخسأ بجهلك، ومُتْ بغيظك ! فليست الأقدار جارية على اختيارك، ولا أنت المخاطب ! بل تأخذ بأدب الله تعالى لنبيه عليه السَّلام في قوله: ((خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَاهِلِينَ)) (سورة **الأعراف**، الآية 199)، وهل تنقم، أيُّها الطاعن لنا، إن أورثنا ملكًا عن آباء كِرام، يوم منه خير من عمرك كله ؟ إذ قالت العلماء إنَّه من عاش ذا فضل على نفسه وأصحابه، فهو، وإن قصر عمره، طويل العمر، مع أنَّه كان في طاعة لم توصف مقدمًا، بحمد الله، بجور ولا طغيان، ولا سفكنا دمًا، ولا غصبنا مالًا، وكانت مدتنا فيه نحوًا من عشرين عامًا خيرًا من سنينَ، إذ ليلة القدر خير من ألف شهر، وتمام المدد على قديم الدهر عادة لا تستغرب لنا خاصة، ولا بدَّ من الفراق ! فلله الحمد إذ لم نفقدها بفقد عقولنا ولا أديانا، ولا تمت بنفاد أعمارنا: فيومٌ من عمر الإنسان يذكر الله فيه خير من تمام عمله، وميتة على بلاء وتذكار خير من ميتة على فتنة وغفلة.

مأخوذ من: ابن بلكين، **التِّبيان**، ص200–201.

-الملحق رقم2: خريطة توضح حدود إمارة غرناطة و دويلات الطوائف في الأندلس خلال القرن 5هـ/11م

مأخوذة من كتاب: علي حبيبة، مع المسلمين في الأندلس، ص456.